

تفسير ابن كثير

هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ^ج وَلَوْلَا^ط رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطْطُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ^ج لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا

يقول تعالى مخبرا عن الكفار من مشركي العرب من قريش ومن مالأهم على نصرتهم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (هم الذين كفروا) أي : هم الكفار دون غيرهم ، (وصدوكم عن المسجد الحرام) أي : وأنتم أحق به ، وأنتم أهل في نفس الأمر ، (والهدي معكوفاً أن يبلغ محله) أي : وصدوا الهدي أن يصل إلى محله ، وهذا من بغيتهم وعنادهم ، وكان الهدي سبعين بدنة ، كما سيأتي بيانه . وقوله : (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) أي : بين أظهرهم ممن يكتم إيمانه ويخفيه منهم خيفة على أنفسهم من قومهم ، لكننا سلطناكم عليهم فقتلتموهم وأبدتم خضراءهم ، ولكن بين أفنائهم من المؤمنين والمؤمنات أقوام لا تعرفونهم حالة القتل ؛ ولهذا قال : (لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة) أي : إثم وغرامة (بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء) أي

: يؤخر عقوبتهم ليخلص من بين أظهرهم المؤمنين ، ويرجع كثير منهم إلى الإسلام .ثم
قال : (لو تزيلوا) أي : لو تميز الكفار من المؤمنين الذين بين أظهرهم (لعذبنا الذين
كفروا منهم عذابا أليما) أي : لسلطناكم عليهم فلقتلتموهم قتلا ذريعا .قال الحافظ أبو
القاسم الطبراني : حدثنا أبو الزبناح روح بن الفرغ - حدثنا عبد الرحمن بن أبي عباد المكي
، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله أبو سعيد - مولى بني هاشم - حدثنا حجر بن خلف :
سمعت عبد الله بن عوف يقول : سمعت جنيد بن سبيع يقول : قاتلت رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - أول النهار كافرا ، وقاتلت معه آخر النهار مسلما ، وفيما نزلت : (ولولا
رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) قال : كنا تسعة نفر : سبعة رجال وامرأتين .ثم رواه من
طريق أخرى عن محمد بن عباد المكي به ، وقال فيه : عن أبي جمعة جنيد بن سبيع ،
فذكره والصواب أبو جعفر : حبيب بن سباع . ورواه ابن أبي حاتم من حديث حجر بن
خلف ، به . وقال : كنا ثلاثة رجال وتسع نسوة ، وفيما نزلت : (ولولا رجال مؤمنون
ونساء مؤمنات) . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن إسماعيل
البخاري ، حدثنا عبد الله بن عثمان بن جبلة ، عن أبي حمزة ، عن عطاء عن سعيد بن

جبیر ، عن ابن عباس : (لو تزیلوا لعذبنا الذین کفروا منهم عذابا ألیما) یقول : لو تزیل

الکفار من المؤمنین ، لعذبهم الله عذابا ألیما بقتلهم إیاهم .